

تفسير ابن كثير

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ

وقوله : (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) قال قتادة : يعني : الشجر . (وجعل لكم من الجبال أكنانا) أي : حصونا ومعقل ، كما (جعل لكم سراويل تقيكم الحر) وهي الثياب من القطن والكتان والصوف ، (وسراويل تقيكم بأسكم) كالدرع من الحديد المصفح والزررد وغير ذلك ، (كذلك يتم نعمته عليكم) أي : هكذا يجعل لكم ما تستعينون به على أمركم ، وما تحتاجون إليه ؛ ليكون عوناً لكم على طاعته وعبادته ، (لعلكم تسلمون) هكذا فسره الجمهور ، وقرءوه بكسر اللام من " تسلمون " أي : من الإسلام . وقال قتادة في قوله : (كذلك يتم نعمته عليكم [لعلكم تسلمون]) هذه السورة تسمى : سورة النعم . وقال عبد الله بن المبارك وعباد بن العوام ، عن حنظلة السدوسي ، عن شهر بن حوشب ، عن ابن عباس أنه كان يقرأها " تسلمون " بفتح اللام ، يعني من الجراح . رواه أبو عبيد القاسم بن سلام ، عن عباد ، وأخرجه ابن جرير من الوجهين ، ورد هذه القراءة . وقال

عطاء الخراساني : إنما نزل القرآن على قدر معرفة العرب ، ألا ترى إلى قوله تعالى : (والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال أكنانا) وما جعل [لكم] من السهل أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا أصحاب جبال ؟ ألا ترى إلى قوله : (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثا ومتاعا إلى حين) وما جعل لكم من غير ذلك أعظم منه وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب وبر وشعر ، ألا ترى إلى قوله : (وينزل من السماء من جبال فيها من برد) [النور : 43] لعجبهم من ذلك ، وما أنزل من الثلج أعظم وأكثر ، ولكنهم كانوا لا يعرفونه ؟ ألا ترى إلى قوله تعالى : (سراويل تقيكم الحر) وما بقي من البرد أعظم وأكثر ولكنهم كانوا أصحاب حر .